ثالثا : مطالب نمو المتعلمين ومظاهر تطور الشعور الدينى عندهم

يعد المتعلم محور العملية التعليمية وأساسها ، وهو أحد العوامل الأساسية التى تؤثر تأثيرًا مباشرًا فى بناء المناهج الدراسية ، بمعنى أننا لا يمكن أن نقدم أية فكرة أو نطالبه بالقيام بأى عمل دون الأخذ فى الاعتبار مرحلة النمو التى يمر بها ، ومراعاة قدراته واستعداداته واتجاهاته ، وخصائص نموه فى كافة الجوانب ، وهذا يعنى ضرورة مسايرة المناهج الدراسية لمراحل نمو المتعلمين .

ويتميز المتعلم فى كل مرحلة من مراحل نموه بخصائص تختلف من مرحلة لأخرى ، فقبل المرحلة الابتدائية يتسم بخصائص معينة ، وفى المرحلة الابتدائية بخصائص أخرى ، وفى المراهقة بخصائص غير التى مر بها فى المرحلة الابتدائية ، وهكذا كل مرحلة لها خصائصها التى تميزها عن المرحلة السابقة واللاحقة .

والنمو لدى المتعلم فى أى مرحلة يتميز بخاصيتين أساسيتين ، أولهما : أنه يتم فى صورة متكاملة ، أى أن النمو يتم دفعةً واحدةً فى جميع الجوانب ، ويؤثر بعضه فى البعض الآخر ، فحينما ينمو الفرد جسميًا ينمو حركيًا ، وعقليًا ، ولغويًا . . ، وهذه الجوانب تتبادل التأثير فيما بينها ، وثانيهما : أن النمو يتأثر بعاملين اثنين ، هما : النضج وهو يعنى الزيادة التى تطرأ على الكائن الحى من خلال تفاعلات داخل الجسم ، والتعلم الذى يتم فى المحيط الثقافى الذى يحيط بالفرد فى البيت والمدرسة والمؤسسات الاجتماعية .

والنمو ينقسم إلى عدة جوانب ، جسمية ، وعقلية ، ولغوية ، وانفعالية ، واجتماعية ، وبعض المتخصصين يضيف النمو الحركى ، وكنا نرى أن النمو

الحركى جزءًا لا يتجزأ من النمو الجسمى ، وتعد دراسة هذه الجوانب والوقوف عليها أساسًا جوهريًا من أسس بناء مناهج التربية الدينية الإسلامية ، وسنتناول فيما يلى جوانب النمو بدءًا من رياض الأطفال وحتى مرحلة المراهقة ، ومتطلبات هذه الجوانب فى مناهج مادة التربية الدينية الإسلامية .

١- النمو الجسمى :

أ- النمو الجسمى فى مرحلة الرياض ومتطلباته فى مناهج التربية الدينية الإسلامية :

يتميز النمو الجسمى فى هذه المرحلة بالتزايد فى الطول والوزن تزايدًا سريعًا ، ولكن بمعدل نمو بطىء عن المرحلة السابقة (مرحلة الرضاعة) ، ويكون معدل الطول أكبر من معدل الوزن فى هذه المرحلة ، ويشهد النمو الجسمى فى هذه المرحلة تغيرات فى نسب أجزاء الجسم ، وحين يصل الطفل إلى العام السادس تكون نسبة أجزاء الجسم أقرب إلى نسب حجم الشخص الكبير ، كما أنه فى هذه المرحلة يزداد نضج الجهاز العظمى والعضلى اللذان يؤثران فى زيادة الوزن ، وهناك بعض المشاكل الصحية التى يمر بها طفل ما قبل المدرسة لعل من أهمها عدم الإقدام على الطعام ـ فقدان الشهية ـ وعدم اختيار الأطعمة الجيدة .

وهنا يأتى دور مناهج التربية الدينية الإسلامية لحل هذه المشكلات فينبغى عليها أن تحثهم على العناية بالجسم والاهتمام به ، والعمل على نظافته ، وأن ذلك من الإسلام ، كما ينبغى على المناهج أن تحثهم على الابتعاد عن مواطن الأمراض ، وضرورة تخير المأكولات التى لا تضر بالصحة العامة للمسلم ، وضرورة ممارسة الرياضة ليكون الجسم قويا ، قال ﷺ : « المؤمن القوى خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير »[1] .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب القدر ، باب فى الأمر بالقوة وترك العجز ، ٤/٢٦٦٤ .

ومن الموضوعات التى تقدم فى هذه المرحلة لتلبي متطلبات النمو الجسمي لدى طفلِ مَا قبْل المدرسة : موضوعات تتعلق بآداب تناول الطعام والشراب ، الوضوء ، وبالصلاَة ، الاهتمام بالصحة ، استخدام السواك .

ب ـ النمو الجسمى فى مرحلة الطفولة ومتطلباته فى مناهج التربية الدينية الإسلامية :

يتميز النمو الجسمى فى مرحلة الطفولة المتأخرة بالهُدُوء النسبى ـ وهو ما يسمى بـ Comon من حيث الطول وملامح الوجه ، كما يتأثر بالعوامل الصحية والاجتماعية والاقتصادية ، ومن المشاكل الصحية التى يمر بها طفل هذه المرحلة : نقص التغذية ، وتأخر النمو الجسمى ، وعدم اختيار الطعام الجيد . وكل هذه المشكلات تؤثر فى التحصيل الدراسى والتوافق المدرسى ، وتعوق النشاط وفرص التعلم[1] . ومعروف أن الإسلام حثنا على رعاية أجسامنا ، وأمرنا أن نعطيها حقها مما رزقنا الله ـ تعالى ـ من الطعام والشراب والكساء ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ (المائدة:٨٧،٨٨) ونهانا سبحانه أن نأكل أو نشرب ما يضر بأجسامنا مثل الميتة ، وما لم يذك ذكاة شرعية وعن تعاطى المخدرات والمفترات وغيرها ، كما نهانا عن الإسراف فى المأكل والمشرب الذى يؤدى إلى التخمة ، قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف:٣١). ولم يكتف الإسلام بهذا بل وجهنا إلى بعض الآداب والتوجيهات التى من شأنها المحافظة على صحة المسلم وتقوية بنيانه ، ومن هذه الآداب :

---

(١) حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو ، الطفولة والمراهقة ، ص ١٩١ الطبعة الخامسة ، القاهرة ، عالم الكتاب ، ١٩٩٠م .

- غسل اليدين قبل الأكل وبعده ، قال ﷺ : « بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده »[1].

- التسمية فى أول الطعام والحمد فى آخره ، فالنبى ﷺ كان إذا أكل أو شرب قال : « الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين »[2].

- الأكل باليد اليمنى ، قال ﷺ : لعمر بن أبى سلمة ، وكان غلاما : « يا غلام سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك »[3].

- عدم الأكل فى حالة الاضطجاع لما فيه من الأضرار الصحية ، قال ﷺ : « لا آكل متكئا »[4] .

- عدم التنفس فى الشراب لما فيه من الأضرار الصحية المنافية للآداب الاجتماعية .

وفى مجال الوقاية من الأمراض حث الإسلام أفراده على النظافة فى الأبدان والبيوت والطرقات ، قال ﷺ : « تنظفوا فإن الإسلام نظيف »[5] ، كما شرع لهم

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه ، ٢ /٣١١ ، كتاب الأطعمة ، « باب فى غسل اليد قبل الطعام » ، عن سلمان ، وقال أبو داود : ضعيف ، وأخرجه الترمذى فى سننه ٤/٢٨١ ، كتاب الوضوء ، باب ما جاء فى الوضوء قبل الطعام وبعده ، عن سلمان ، وقال أبو عيسى هذا حديث لا نعرفه .

(٢) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ، ٤/٢٠٨٥ ، كتاب الذكر والدعاء ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع عن أنس رضي الله عنه .

(٣) رواه مسلم وأخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الأطعمة ، باب التسمية على الطعام والأكل باليمنى ، ٩/٥٢١ .

(٤) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه ، كتاب الأطعمة ، باب الأكل متكئا ٩/٥٤٠ ، عن أبى جحيفة .

(٥) أورده الهيثمى فى الجمع ٥/١٣٢ ، كتاب اللباس ، باب النظافة عن عائشة وعزاه إلى الطبرانى فى الأوسط بلفظ « الإسلام نظيف فتنظفوا »،

من القواعد الصحية ما يحافظ بها على أجسامهم ، ويضمن بها سلامتهم الجسمية والنفسية كتشريع الاستنجاء والوضوء والغسل ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ (المائدة:٦) وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة:٢٢٢) .

ولم يكتف الإسلام بهذا ، بل اعتنى عناية خاصة بنظافة الأسنان والأيدى والرأس لما لها من دور بارز فى جلب كثير من الأمراض ، قال ﷺ : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء»[(١)]، وجاء رجل إلى النبى ﷺ ثائر الرأس واللحية ، فأشار عليه النبى ﷺ كأنه يأمره بإصلاح شعره ـ ففعل ثم رجع ، فقال النبى ﷺ : أليس هذا خيرا من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس واللحية كأنه شيطان[(٢)].

ومجمل القول أن التربية الدينية الإسلامية بوصفها مادة دراسية يمكنها أن تقدم موضوعات من شأنها تلبية مطالب النمو الجسمى فى مرحلة الطفولة كما يلى :

١- توضيح المفاهيم الدينية التى تعمل على تجديد نشاط التلميذ وتقوية حيويته ، وحثه على الاهتمام بنظافته ومظهره ، ومن هذه المفاهيم : الاستنجاء ، آداب قضاء الحاجة ، والطهارة ، والوضوء ، والتيمم ، والصلاة والصوم .

٢- تكوين عادات العناية بالجسم والمحافظة عليه سليما من الأمراض .

٣- توجيه التلاميذ إلى الالتزام بالآداب الإسلامية فى المأكل والمشرب ،

---

(١) رواه مالك فى الموطأ ، كتاب الطهارة ، باب ما جاء فى السواك حديث ١٤٢ ، وأحمد فى المسند ، ١/٨٠ ، ١٢٠ ، ٢١٤.

(٢) رواه مالك فى الموطأ ، كتاب الجامع ، باب إصلاح الشعر حديث ١٧٢٦.

والملبس ، وعند النوم ، ودخول الحمام ، وذلك بتدريس آداب تناول الطعام والشراب وآداب قضاء الحاجة ، وآداب الطريق .

٤- حث التلاميذ على ممارسة الرياضة البدنية التى تعمل على المحافظة على أجسامهم .

جـ ـ النمو الجسمى فى مرحلة المراهقة ومتطلباته فى مناهج التربية الدينية الإسلامية :

يتميز النمو الجسمى فى مرحلة المراهقة بسرعته الكبيرة وخاصة فى أول هذه المرحلة ، حيث تحدث طفرة كبيرة فى النمو الجسمى ، وتنشط الغدد ، وتتضح أجزاء الجسم المختلفة ، ويزداد الطول والوزن ، وتتضح الملامح ، ويزداد التمايز بين البنين والبنات بظهور أجزاء فى كل نوع لم تكن معروفة لديهم من قبل .

وقد يصاحب هذه التغيرات ازدياد رغبة المراهقين فى تناول الطعام والشراب ، وممارسة بعض الألعاب الرياضية كالسباحة ، وركوب الخيل ، وفن الباليه ، والرقص الرياضى . . باعتبارها وسيلة من وسائل بناء الجسم .

وترتبط هذه التغيرات ببعض المظاهر التى إن دلت فإنما تدل على أن المراهق يريد أن يصل إلى مرتبة الراشدين مخلفا وراءه أمارات الطفولة ، فيميل بعض الذكور إلى ممارسة التدخين ، وتناول الحبوب المخدرة ، . . ، ويؤكد هذا دراسة مصطفى سويف (١٩٨٥م) حيث كان من بين نتائجها أن ١٨٪ من تلاميذ عينة مؤلفة من (٥٥٣٠) تلميذا بمدارس القاهرة الثانوية يدخنون السجائر ، وأن العمر الذى يغلب فيه التعاطى هو ما بين الخامسة عشرة والسابعة عشرة ، ويؤكد هذا ما نشرته جريدة الأهرام المصرية حديثا بتاريخ ١٩٩٧/٦/١٤م ، من أن إحصائية قام بها الجهاز المركزى للمحاسبات بالاشتراك مع معهد الأورام القومى بجامعة القاهرة أن إجمالى عدد المدخنين

فى مصر يبلغ ٦ملايين منهم حوالى (٤٣٤) ألف تحت سن ١٥سنة و٧٣ ألف تحت سن العاشرة أى ما يقرب من نصف مليون مدخن فى سن مرحلة التعليم الأساسى ، كما تميل بعض الفتيات إلى تجميل أنفسهن عن طريق جراحات التجميل وغيرها .

كما تتسم أيضًا هذه المرحلة بازدياد رغبة المراهقين فى الاهتمام بالمسائل الجنسية ، لذلك نراهم يميلون إلى الذهاب إلى المسارح ودور السينما ومشاهدة التلفاز والفيديو ، وقراءة بعض الكتب والمجلات بغية الوصول إلى معلومات خاصة بالناحية الجنسية .

وامتدادًا لما سبق ، فإن الإسلام أولى الجانب الجسمى اهتمامًا كبيرًا ، حيث أشار القرآن الكريم فى آيات كثيرة إلى أهمية الجسم وقوته شرطًا لاستخلاف الله فى أرضه والقيام بواجباته نحو نفسه وأهله ومجتمعه ودينه ، قال تعالى حكاية عن طالوت ﴿ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٤٧) ، وقال على لسان إحدى بنات شعيب ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ (القصص:٢٦) فالقوة والأمانة شرطان أساسيان للقيام بوظائف الحياة ، كما أن البسطة فى العلم والجسم فيهما من أسباب سيادة الإنسان ، وليس ثمة أصدق تعبير من قول الرسول الكريم ﷺ فى وصف المؤمن حيث يقول : «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير»[1] .

ولم يكتف الإسلام فى حديثه عن الجانب الجسمى بالاهتمام بالرعاية والمحافظة عليه سليما خاليا من الأمراض ، بل حثنا على الاهتمام بالمظهر الشخصى حيث وردت آيات كثيرة تحث على الاهتمام به كقوله تعالى :

---

(١) سبق تخريجه ص ١٤٠ .

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ (الأعراف:٣١) وقوله ﷺ « إن الله جميل يحب الجمال »[1]، والإسلام حينما يحثنا على الاهتمام بالمظهر الشخصى لا يعنى بذلك التكلف والإسراف فيه مما يتعذر على الفقراء حصوله ، فإن النبى ﷺ قد برهن على إمكانية مزاولة النظافة على كافة المستويات الاقتصادية والاجتماعية .

ومجمل القول فإن الإسلام اهتم بهذا الجانب اهتمامًا بالغًا ، وقدم العديد من المبادئ والقواعد الصحية العامة التى من شأنها المحافظة على صحة الفرد وسلامته ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (البقرة:١٩٥) وقوله : ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ (النساء:٢٩) .

والتربية الدينية الإسلامية بمناهجها يمكنها تلبية مطالب النمو الجسمى فى هذه المرحلة من خلال الآتى :

١- توجيه التلاميذ إلى الاهتمام بالقواعد الصحية فى تناول الطعام والشراب ، والابتعاد عن كل ما يضر بالصحة العامة فى المأكل والمشرب .

٢- بيان التوجيهات الإسلامية فى مجال الطعام والشراب وذلك ببيان حكم الإسلام فى اللحوم المحفوظة والمستوردة ، والألبان المجففة ـ الطبيعية والصناعية ـ وحكم التدخين ، والمخدرات والمفترات ، والمسكرات وأضرارها الصحية على الفرد والمجتمع .

٣- بيان الحدود والقيود التى وضعها الإسلام لممارسة الرياضة بأنواعها المختلفة حتى يتحرك التلاميذ فى ضوئها .

٤- توضيح الحلال والحرام فيما يشاهده المراهقون من أفلام وبرامج وفيما يقرأونه من كتب ومجلات .

---

(١) رواه أحمد فى المسند ، ١٣٣/٤.

٥- اشتمال المنهج على موضوعات لشغل أوقات الفراغ عند التلاميذ .

٦- تقديم الموضوعات عن احترام الجنس الآخر .

٧- تقديم الموضوعات عن الحياء وغض البصر .

٨- تقديم موضوعات تمجد العفة والطهارة .

٩- تقديم موضوعات عن الجهاد والفروسية والكفاح ، وضرب أمثلة للشباب للمجاهدين على عهد رسول الله ﷺ .

٢- النمو العقلى :

أ- النمو العقلى فى مرحلة الرياض ومتطلباته فى مناهج التربية الدينية الإسلامية :

فى هذه المرحلة تواجه الطفل مشكلات أكثر فى تفسير البيئة ، وفى فهم العلاقات بين الأمور الحسية التى كان قد تعرف عليها ، وفى هذه المرحلة أيضًا يصل إلى المفاهيم الأولية للمكان والزمان والسببية ويضع ما يسمى بالأحكام الفطرية أو البديهية المتعلقة بالصلات بين الأشياء ويعرف صفة واحدة للشىء ولا يستطيع أن يرى صفتين أو أكثر مثل الارتفاع والعرض كيف يمكن أن يتفاعلا ؟ أو كيف يتداخل أحدهما مع الآخر ؟

وفى هذه المرحلة يسمع الطفل عن الله سبحانه وتعالى وعن الملائكة وعن الجن وعن الجنة والنار ولا توجد هذه المدركات بالطبع فى واقعه ، ولا تقع تحت دائرة ما يراه أو يسمعه أو يحسه ، ومن ثَمَّ فالطفل يتصور الله سبحانه وتعالى والملائكة . . أمورا خيالية لا صلة لها بالواقع ، فمثلا تتجسد صورة الإله فى ذهنه حسبما يسمع ، فإذا كان ما يلقى عن الله أنه يعذب ويقسو - كما يسرف فى ذلك كثير من الناس تخويفا للأطفال - كانت الصورة الخيالية فى ذهنه مرعبة مخيفة ، أما إذا كانت الصورة التى تنقل إليه عن الله أنه الخالق المنعم وأنه رحيم ويحنو على عباده كانت الصورة الخيالية عند الطفل محبوبة .

ودور مناهج التربية الدينية الإسلامية إزاء هذا المطلب أن تجذب انتباه الطفل إلى صفات الله تعالى وإلى خلقه ، وسبيلنا إلى ذلك ما يسمى بالطريقة الاستقرائية أو الاستنباطية ، فمن المخلوقات وتنوعها ونظامها ووظائفها يمكن أن نصل بالطفل إلى تصور أكثر واقعية عن الله سبحانه وتعالى وعن مفاهيم الغيب الأخرى .

ب ـ النمو العقلى فى مرحلة الطفولة ومتطلباته فى مناهج التربية الدينية الإسلامية :

يقصد بالنمو العقلى هنا نمو القدرات العقلية العامة أو نمو الذكاء الذى درسه كثير من الباحثين ، ولعل من أشهرهم المربى السويسرى « جان بياجيه »، الذى أكدت أبحاثه أن تفكير تلاميذ المرحلة الابتدائية ـ من ٦ إلى ١٢ سنة ـ يتميز بأنه حسى ، أى أنه يرتبط بما يدركونه بالحواس فى العالم الذى يعيشون فيه .

ويتسم النمو العقلى فى هذه المرحلة بعدة مظاهر لعل من أهمها قوة الذاكرة ، واكتمال حجم المجتمع وربط الأسباب بالمسببات ، والاعتماد على الأدلة المحسوسة فى الربط بين السبب والنتيجة ، وعدم القدرة على التفكير الجدى فى المجردات ، وللنمو العقلى فى هذه المرحلة عدة مطالب منها تكوين مفاهيم ضرورية عن الحياة والموت ، ومن المؤكد أن للعمليات العقلية دورا فى تكوين مثل هذه المفاهيم ، فيرى « برونر » أن الأشخاص يستخدمون الاختيار والانتقاء والإدراك فى استخراج تتابع الأحداث أو الأشياء وتصنيفها فى مفهوم أو نوع .

والمفاهيم الدينية التى تتكون لدى تلميذ هذه المرحلة ترتبط بالواقع وتشتق من أشياء محسوسة ، فهو يتصور الله مما يقرأ أو يسمع تصورا ترتبط فيه صفات العظمة ، وإذا سمع عن الجنة تصورها حديقة وارفة الظلال كثيرة الأزهار ، عديدة الثمار .

والإسلام احترم العقل واهتم به اهتماما بالغا حيث جعله مناط التكليف ، وحافظ عليه بتحريم كل ما يضره من مسكرات ومخدرات ومفترات وغير ذلك إيمانا منه بأن الإنسان لن تصلح حياته ولن يؤدى فى المجتمع دوره أو ينهض برسالته فى سبيل أمته إلا إذا توافر له الجسم الصحيح والعقل الرشيد؛ ومن ثَمَّ جاءت آيات القرآن الكريم تحث كل مسلم وتدعوه دعوة صريحة إلى إعمال عقله فيما حوله ليأخذ العبرة والعظة والدروس المستفادة منها ، قال سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (الغاشية:١٧-٢٠).

ولم يكتف القرآن الكريم بهذا بل جاءت معظم آياته مختتمة بدعوة المسلم إلى إعمال فكره ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل:٦٩) ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الرعد:٤) ، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (النحل:١٣) ، والواضح أن هذه الآيات ختمت بالأفعال المضارعة التى تدل على الاستمرار فى إعمال الفكر وعدم إهماله ، ويعد هذا دافعًا قويًّا للمسلمين إلى الاهتمام بتحصيل المعرفة والعلم وإجراء البحوث التجريبية مما أدى إلى انبثاق النهضة العلمية فى المجتمع الإسلامى وازدهار المعارف والعلوم بين المسلمين .

ويمكن للتربية الدينية الإسلامية باعتبارها مادة دراسية أن تلبى مطالب النمو العقلى كما يلى :

١- تقديم المفاهيم الدينية التى تنمى مدارك التلاميذ وتجيب عن تساؤلاتهم وما يدور فى عقولهم ، وإحاطة المفاهيم المجردة منها بالعديد من الأمثلة التى تعمل على توضيحها ، وإظهارها فى صورة حسية .

٢- تقديم المفاهيم الدينية مدعمة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية حتى يتعود التلاميذ منذ صغرهم على إدراك العلاقة بين الحكم وبين النص

القرآنى أو الحديث النبوى ، وبذلك يستطيعون فى المراحل التالية استنباط الأحكام الدينية من مصادرها .

٣- تصحيح المفاهيم الدينية الخاطئة لدى التلاميذ ، فمثلاً يمكن معالجة تصور الله تعالى شخصًا يرتبط بصفات العظمة بتوضيح المنهج للتلاميذ أن الله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى:١١) ، وأنه سبحانه متصف بكل كمال ، منزه عن كل نقص جل فى علاه ، كما يمكن معالجة الفكرة الخاطئة الناتجة عن تخويف الأطفال من الله عز وجل ، وذلك عن طريق توضيح المنهج للتلاميذ أن الله غفور رحيم ، يرزق عباده ، يعطى من أحب ويكرم من أحب .

٤- تقديم الآيات القرآنية التى تتحدث عن مظاهر الكون ـ الطبيعة ـ السماء ـ الجبال ـ الأنهار ... والانطلاق من هذه المشاهدات إلى الحديث عن عظمة الله سبحانه وتعالى ، وبذلك يتعود التلاميذ على التأمل فى مظاهر الكون ، أملاً فى الوصول إلى معرفة الله تعالى .

٥- استغلال قدرة التلاميذ على الحفظ والتذكر وتقديم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لهم بكثرة للحفظ .

٦- ما دام الأولاد لا يفكرون بالأمور المجردة ، وأنهم ميالون إلى تصديق ما يقدم إليهم وليس عندهم أى نوع من أنواع المجادلة أو المحاجة ، فينبغى ألا نقدم إليهم إلا ما اتفق عليه من الأمور ونترك الأمور الخلافية بين العلماء لسنوات أعلى مثل (الدراسة الجامعية) .

٧- العمل على نمو المفاهيم الدينية لدى التلاميذ قبل العمل على تكديس المعلومات لديهم ، مع التدريب على استعمال الأفكار المعنوية غير المحسوسة .

٨- حث التلاميذ على تحصيل المعرفة والاجتهاد فى طلب العلم ، واستثمار أوقات الفراغ فى القراءة ، فالإسلام دين العلم ، ويكفى أن أول آيات القرآن الكريم ذكرت القراءة وأدوات الكتابة ، قال تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق: ١-٥) .

جـ ـ النمو العقلى فى مرحلة المراهقة ومتطلباته فى مناهج التربية الدينية الإسلامية :

أما فى مرحلة المراهقة فإن النمو العقلى فيها يتسم بزيادة تصاحب النمو الجسمى ، وتكون هذه الزيادة كمية وكيفية ، كمية بمعنى أن المراهق يصبح أكثر قدرة على إنجاز المهام العقلية على نحو أكثر سهولة وسرعة وكفاءة من الطفل[١] ، وذلك بتمايز القدرات العقلية وتخصصها وظهور قدرات التذكر ، والاستدلال ، والتخيل ، والقدرة اللفظية ، والقدرة العددية ، والقدرة الاستنباطية .

وكيفية ، بمعنى أنه تحدث تغيرات فى طبيعة العمليات المعرفية : الانتباه ، والإدراك ، والتذكر ، والتخيل[٢] ، ... كما تتسم هذه المرحلة بالاستقلالية فى التفكير ، حيث يقوم المراهق بفحص أفكاره الدينية التى تلقاها فى طفولته ، محاولاً تقييمها عن طريق سؤال الغير فى ضوء تعاليم دينه الحنيف[٣] ، . ومن الملاحظ على التلاميذ فى هذه السن أنهم لا يقبلون ما يفرض عليهم ، وأنهم دائمى السؤال ، والإلحاح على سؤال معين ، قد لا يقتنعون فى إجابته على شىء واحد ، بل على أشياء كثيرة كالرفاق والقراءات الخاصة ، والسفر ،

---

(١) آمال صادق ، فؤاد أبو حطب : نمو الإنسان من مرحلة المهد إلى مرحلة المسنين ، ص ٢٢٤ القاهرة : مركز التنمية والمعلومات ، ١٩٨٧م .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٢.

(٣) محمد صلاح الدين على مجاور : تدريس التربية الدينية الإسلامية ، أسسه وتطبيقات تربوية ص ١٢٠ وما بعدها ، الكويت دار القلم ، ١٩٩٤م .

ووسائل الإعلام ، وهكذا يمكن تلخيص الخصائص العقلية لتلاميذ هذه المرحلة فى الآتى :

- قوة الذاكرة .
- الاعتماد على الأدلة العقلية بدل الاعتماد على الأدلة الحسية .
- الثورة الفكرية والتمرد الفكرى .

وقد أشاد الإسلام بالعقل وبدوره فى التفكير باعتباره الأدلة التى لا يمكن بدونها اكتشاف الظواهر الكونية المختلفة والتفكير فى العلاقات التى تربط بعضها البعض ، وأيضًا التفكير فيما وراء هذه الظواهر ، ومن ثَمَّ تحدد وظيفة العقل فى الإسلام فى النقاط التالية :

- التفكير فى أحوال العالم ، وسنن الله فى الأرض ، وأحوال الأمم والشعوب الماضية .
- التفكير فى العلاقات التى يعول عليها فى فهم ظواهر الكون .
- التفكير العلمى .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن :

إذا كانت هذه هى خصائص النمو العقلى ، ومظاهر اهتمام الإسلام بها ، فما الذى يمكن أن تقدمه مناهج التربية الدينية الإسلامية لتلبية مطالب هذا الجانب من النمو فى مرحلة المراهقة ؟

إن التربية الدينية الإسلامية باعتبارها مادة دراسية يمكنها تلبية مطالب النمو العقلى فى مرحلة المراهقة كما يلى :

- تقديم الأمور الدينية مرتبطة بالتبرير المنطقى مستدلين بالأدلة العلمية لكى تثبت ذلك ، مع إعطائهم الحرية فى المناقشة وإبداء الرأى فيما يطرح عليهم من قضايا ، ولا مانع من عرض قليل من الخلافات الفقهية بحيث لا تنمى لديهم الحزبية والطائفية والعصبية لجماعة ما .

- تعويد الطلاب على كيفية الاستدلال العقلى والنقلى على الأحكام مقرونة بأدلتها النقلية وتعليلاتها العقلية .

- تدريب الطلاب على كيفية الاستفادة من تفكيرهم التخيلى ، وذلك بحثهم على التفكير فى المشكلات الحاضرة ، ومحاولة معرفة البديل الإسلامى لما حرمه الإسلام منها ، ومعروف أن فى الحلال ما ينبغى عن الحرام ، فقد حرم الله الربا وأحل التجارة ، وحرم الجلوس إلى السحرة والمنجمين وشرع الاستخارة .

- العمل على تكوين مهارات التفكير العلمى لدى الطلاب من خلال تقديم المفاهيم والحقائق والمعلومات الصحيحة بطرق استدلالية متعددة ، وهذا مطلب يدعو إليه الفكر الإسلامى .

- مساعدة الطلاب على تكوين المهارات الفكرية اللازمة لمعالجة مشكلات المجتمع علاجًا فقهيًّا سليمًا ، وذلك من خلال تضمين المحتوى بعض المبادئ الشرعية المستمدة من نصوص القرآن والسنة ، التى يحكم الفقهاء فى ضوئها على المشكلات المعاصرة ، ومن أمثلة هذه المبادئ :

  - الأصل فى المنافع الإباحة وفى المضار التحريم .
  - التحليل والتحريم لله وحده لا لأحد سواه .
  - تحريم الحلال وتحليل الحرام كالشرك بالله تعالى .
  - ما أدى إلى الحرام فهو حرام .

وبيان حكم الإسلام فى كثير من الممارسات الخاطئة التى يواجهها الطلاب ، والتى قد تكون نتيجة للتقاليد الخاطئة ، أو قد تكون ناشئة عن تيارات فكرية هدامة ، وبهذا يعمل المنهج على تحرير العقل من سلطان الخرافة والوهم ومن كل صور التقليد دون فهم .

٣- النمو اللغوى :

يرتبط النمو اللغوى ارتباطًا كبيرًا بالنمو العقلى ، «لأن اللغة وسيلة للتفكير ، فعن طريقها يقوم العقل بعمليات التفكير من إدراك للعلاقات وتجريد لها وتحليل واستنتاج»[1] ، ومن هنا قد لا نستطيع أن نفرق بين هذين الجانبين من النمو ، حتى إن بعض الباحثين ذكر أن التفكير نوع من الكلام الداخلى يسمى (Inner Speach) ، وليس أدل على ذلك من قول الشاعر :

إن الكلام لفى الفؤادِ وإنما جُعِلَ اللسانُ على الفؤادِ دليلاً

كذلك فإن الارتباط بين القدرة اللغوية ومستوى الذكاء قوى جدًّا ، ونقصد بالقدرة اللغوية هنا : القدرة على الفهم ، فهم ما هو مسموع ، وفهم ماهو مقروء ، وكذلك القدرة على الإنتاج اللغوى الذى يبرز فيه ما نسميه بالكلام والكتابة ، ويلاحظ أن جانب الفهم دائمًا يسبق جانب الإنتاج .

والشكل التالى يوضح جوانب القدرة اللغوية ومكوناتها :

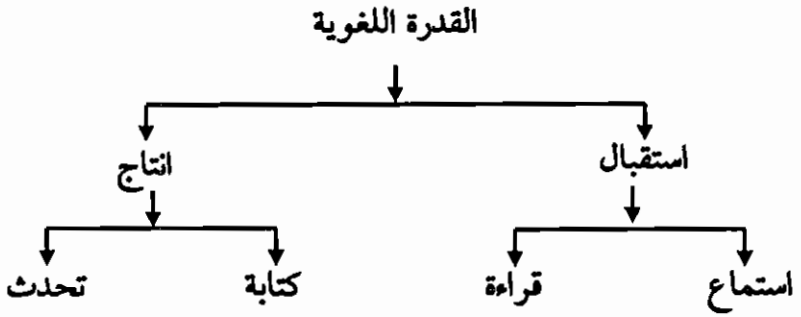

شكل (١) مكونات القدرة اللغوية

(١) فتحى على يونس : تعليم اللغة العربية للمبتدئين (الصغار والكبار) ص٤ استنسل كلية التربية ، جامعة عين شمس ، ١٩٩٦م .

- ملامح النمو اللغوى فى مرحلة الرياض ومتطلباته فى مناهج التربية الدينية الإسلامية :

أجريت دراسات عديدة حول كمية المفردات التى لدى طفل ما قبل المدرسة الابتدائية ، وقد تباينت هذه الدراسات فى نتائجها تباينًا واضحًا ، فيذكر واتس[1] ملخصًا للنمو اللغوى لطفل ما قبل المدرسة الابتدائية من حيث المفردات :

- من ١٨شهرًا فما فوق : يستخدم الطفل أربع كلمات أو خمسًا ، ويستخدم كلمتين معًا .
- سنتان فما فوق : يستطيع الطفل أن يسمى أربعة أشياء أو خمسة مألوفة له ، ويستطيع أن يستخدم حرفين من حروف الجر : فى وعلى .
- ثلاث سنواتٍ فأكثر : يستخدم الطفل ضمائر مثل أنا ، وأنت ، وياء المتكلم استخدامًا صحيحًا ، ويمكن أن يستخدم الجموع والأزمنة الماضية ، وصيغ التفضيل ، ويعرف ثلاثة حروف للجر ، ويميز بين فى وتحت وخلف ، ويعرف الأجزاء الرئيسة لجسمه مسميًا إياها .
- أربع سنواتٍ فأكثر : يعرف الطفل أسماء الألوان الشائعة ، ويمكن أن يستخدم أربعة حروف جر ، وهو قادرٌ على أن يقول ما يمكن أن تفعله الحيوانات الأليفة ، والقط والكلب ، ويسمى الأشياء العامة فى الصور ، ويمكن أن يعيد ثلاثة أرقام بعد سماعها .
- خمس سنوات فأكثر : يمكن أن يستخدم الطفل الكلمات الوصفية بسهولة ، ويعرف الأضداد الشائعة ، مثل كبير وصغير ، وخشن وناعم ... ، ويعرف متى يقول : من فضلك ، وأشكرك ، ويمكن أن يعد إلى عشرة .

---

(١) فتحى على يونس : اللغة العربية والدين الإسلامى فى رياض الأطفال والمدرسة الابتدائية ، ص ٦٩ .

أما من حيث طول الجملة فتشير نتائج الدراسات عمومًا إلى أن هناك نموًا مطردًا فى طول الجملة يبرز مع التقدم فى العمر .

- **متطلبات النمو اللغوى فى مرحلة الرياض فى مناهج التربية الدينية الإسلامية :**

- ضرورة اختيار النصوص الدينية التى ينبغى أن تكون فى دائرة المستوى اللغوى لطفل الرياض .
- عدم استخدام الكنايات والاستعارات والأساليب اللغوية الصعبة .
- الابتعاد عن الأمور المجردة التى تعتمد على التخيل .

أ- النمو اللغوى فى المرحلة الابتدائية ومتطلباته فى مادة التربية الدينية الإسلامية :

يأتى الطفل إلى المدرسة الابتدائية وتكون مفرداته قد نمت نتيجة للخبرات اللغوية التى مر بها فى مرحلة الرياض ، فهو ينطق الآن جميع الأصوات اللغوية تقريبًا نطقًا صحيحًا ، وأصبح يعرف حوالى ٢٥٠٠ كلمة ، وتزداد المفردات لديه بنسبة ٥٠٪ عن ذى قبل [١] .

ويتعرض الطفل لعدة مؤثرات تسرع فى نمو ثروته اللغوية ، ومن هذه العوامل :

- اتساع البيئة .
- النضج العقلى والانفعالى والاجتماعى .
- تعلم القراءة والكتابة .

ويعرض الطفل فى المدرسة أنماطًا لغوية شبيهة بما يستخدم فى بيئته من أنماط ، ويرجع هذا ـ بالدرجة الأولى ـ إلى تقليد من حوله من الكبار .

---

(١) حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو . . . ص ٢٥١ .

ومن المهم أن نعلم أن معظم الأطفال يأتون إلى المدرسة ولديهم كمية من المفردات الكافية لنجاحهم فى تعلم القراءة والكتابة ، لكن الأكثر أهمية أن يستمر نمو المفردات حتى يستطيع أن يواصل التعلم فى المجالات المختلفة لمواد المدرسة الابتدائية .

- متطلبات النمو اللغوى فى المرحلة الابتدائية فى مناهج التربية الدينية الإسلامية

- ضرورة اختيار النصوص الدينية التى ينبغى أن تكون فى دائرة المستوى اللغوى لتلميذ المرحلة الابتدائية .

- التقليل من استخدام المجازات فى التعبير عن المعانى ، وهذا لا يمنع من تقديم بعض الصور ولكن بقدر (أى بنوع من الضبط) .

ب ـ النمو اللغوى فى مرحلة المراهقة ومتطلباته ، فى مناهج التربية الدينية الإسلامية .

يمر تلميذ هذه المرحلة بثورة فكرية ولغوية ، وثورة فى عدد المفردات ، وقد أصبح قادرًا على فهم الكنايات والاستعارات بوضوح تام ، كما أنه أصبح قادرًا على التفكير فى المجردات ، فهو يدخل المرحلة الإعدادية ولديه تقريبًا حوالى ٨٠٠٠ كلمة نتيجة للخبرات السابقة ، والعلوم التى مر بها خلال المرحلة الابتدائية ، كما أنه يخرج من المرحلة الإعدادية ولديه ١٤٠٠٠ كلمة ، وأصبحت الجملة عنده تتكون من ثمانى إلى عشر كلمات[1] ، ولو أننا وضعنا فى الاعتبار كمية الكلمات التى عنده ، وطول الجملة ، لأمكننا أن نقول إن تلميذ هذه المرحلة لديه كفاءة جيدة تساعده على فهم أى نص يقدم إليه بشرط يكون فى حدود مستواه اللغوى .

---

(١) فتحى على يونس : اللغة العربية والدين الإسلامى فى رياض الأطفال والمدرسة الابتدائية ، ص ٧٠.

وبالرغم من كل هذا إلا أن هناك بعض المشكلات اللغوية التى ينبغى أن نضع أيدينا عليها كى نقدم إلى الولد أقصى حد من النمو ، وهذه المشكلات هى :

- أن بعض التلاميذ ليست لديهم الثروة اللغوية الكافية بسبب ضعف الخبرات التى يعيشونها ، أو بسبب التخلف الثقافى للأسرة .
- أن بعض التلاميذ غير قادرين على فهم بعض المعانى المجازية ، وهم لا يستطيعون أن يفرقوا بين الحقيقة والمجاز ، وإنما يأخذون الأمور على ظاهرها دون تأويل .
- أن بعض التلاميذ غير قادرين على فهم المترادفات ، المشترك المعنوى ، والمشترك اللفظى ، فلفظ العين مثلاً له عدة معان ، فهى تطلق على الحاسة ، وتطلق على البئر ، وتطلق على الجاسوس .

● متطلبات النمو اللغوى فى مرحلة المراهقة فى مناهج التربية الدينية الإسلامية :

- تقديم النصوص الدينية دون الخشية من عدم فهمها ، لأن تلميذ هذه المرحلة أصبح قادرًا على استخدام المعاجم .
- ضرورة اشتمال محتوى التربية الدينية الإسلامية فى هذه المرحلة على الاستعارات والكنايات والتشبيه .
- تقديم المفاهيم المجردة فتلميذ هذه المرحلة قادر على فهمها والتفكير فيها .

٤- النمو الانفعالى :

يعرف الانفعال بأنه حالة توتر فى الكائن الحى تصاحبها تغيرات فسيولوجية داخلية ومظاهر جسمانية غالبًا ما تعبر عن نوع هذا الانفعال ، ويتأثر النمو الانفعالى ـ إلى حد كبير ـ بالنمو الجسمى والعقلى والاجتماعى ، فهو يتأثر بالتغيرات الجسمية الداخلية والخارجية ،والعمليات والقدرات العقلية ،

والتآلف الجنسى ، ونمط التفاعل الاجتماعى ومعايير الجماعة ، والمعايير العامة والشعور الدينى .

أ- النمو الانفعالى فى مرحلة الرياض ومتطلباته فى مناهج التربية الدينية الإسلامية :

تتسم مرحلة الرياض بأنها مرحلة «عدم التوازن الانفعالى» حيث يكون الطفل فيها سهل الاستثارة ، وتتميز انفعالاته بأنها أكثر حدة من المعتاد ، وتظهر علامات شدة الانفعال فى صورة حدة المزاج وشدة المخاوف وقوة الغيرة ... وقد يرجع ظهور هذه العلامات إلى التعب الذى يسببه اللعب المستمر من الطفل ورفض النوم والراحة وتناول مقدارا أقل مما يحتاجه من الطعام نتيجة الثورة على النظام الثابت لوجبات الطعام [1] .

دور مناهج التربية الدينية الإسلامية إزاء مطالب النمو الانفعالى فى مرحلة الرياض :

- تقديم موضوعات ترتبط بالتهذيب والأخلاق والقيم النبيلة كالصدق والأمانة.
- توجيه الأطفال فى هذه المرحلة نحو حسن معاملة الآخرين وخاصة الضعاف من أترابهم وعدم الاعتداء عليهم .
- تقديم موضوعات تتناول آداب الطعام والشراب لتهذيب سلوكهم فى المأكل والمشرب .

ب ـ النمو الانفعالى فى المرحلة الابتدائية ومتطلباته فى مناهج التربية الدينية الإسلامية :

أما طفل المرحلة الابتدائية فتتميز انفعالاته وعلاقاته بالهدوء ، فهو ليس

---

(١) آمال صادق ، فؤاد أبو حطب : نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، بتصرف .

لديه ميول للصخب ولا للانفعال الحاد ، ولكنه فى سن تقضى أن يتلقى من الآخرين وأن يقلدهم ، ومن ثَمَّ فهو ليس لديه فكرة واضحة عن ماذا يريد ؟

وتصاحب الأطفال فى هذه المرحلة بعض المشاكل الانفعالية التى يجب الاهتمام بها ، ومنها مشكلة الخوف الشديد من الظلام أو الأشباح والسلطة والكبار أو الحيوان ... ، والسبب الرئيسى فى هذا الخوف هو التربية السيئة من جانب الأسرة ـ الأم والأب ـ ، ووسائل الإعلام ... حيث تؤثر هذه المؤسسات فى انفعالات الأطفال فتزيد من فزعهم وخوفهم عن طريق القصص الخيالية التى تعرضها عليهم .

ويرتبط بالخوف الكذب ، وهو من المشاكل التى تسيطر على كثير من الأطفال بسبب ضعف شخصيتهم أمام الكبار ، والخوف من العقاب البدنى ، وعدم القدرة على تحمل المسئولية ، والضغط الأسرى ، فعلى سبيل المثال تضغط الأم على طفلها فى حالة الأكل فيكذب الطفل ، وقد يكون من أسباب الكذب القدوة السيئة من جانب الوالدين ، فقد يطرق باب الأسرة ضيف لا يرغب الوالد فى رؤيته ، فيأمر الوالد الطفل بأن يخبره بأنه ليس موجود ، وهكذا يكتسب الابن صفة الكذب من حيث لا يدرى الوالد .

والإسلام راعى هذا الجانب منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان ، فلقد جاء القرآن الكريم بوصف دقيق لكثير من الانفعالات التى يشعر بها الإنسان مثل الخوف والغضب والحب والفرح والكره والغيرة والحسد والندم والحياء والخزى ، ولم يقتصر القرآن الكريم على وصف هذه الانفعالات فحسب ، وإنما جاء أيضًا بآيات كثيرة توجه الناس إلى السيطرة على الانفعالات ، ومن الأمثلة على ذلك وصية القرآن الكريم لنا بالتحكم فى حبنا لأهلنا من الآباء والأزواج والأبناء ، وفى حبنا لأصدقائنا وعشيرتنا ووطننا وأموالنا وممتلكاتنا حتى لا ينسينا كل ذلك حبنا لله ، ويلهينا عن طاعته والجهاد فى سبيله ، قال

تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة: ٢٤).

وفى مجال التنشئة حرص الإسلام على تنشئة الأبناء على أساس من العقيدة الصحيحة والعبادة السليمة وتقوى الله عز وجل منذ نعومة أظافرهم حتى يضمن سلامتهم النفسية ـ ويضبط انفعالاتهم ، كما وجه الآباء إلى الاهتمام بغرس الأخلاق الفاضلة فى نفوسهم ، عن عبد الله بن عامر قال : دعتنى أمى يوما ورسول الله ﷺ قاعد فى بيتنا ، فقالت : ها تعال أعطك ، فقال لها رسول الله ﷺ ما أردت أن تعطيه؟ قالت : تمرا ، فقال لها : لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة[1] .

من هنا يمكن لمنهج التربية الدينية الإسلامية تلبية مطالب النمو الانفعالى من خلال :

- توجيه التلاميذ إلى ممارسة العبادات لأنها ذات أثر محمود فى تهذيب نفوسهم وسلامتهم انفعاليا .
- تزويد التلاميذ بالقيم كالصدق والأمانة .
- تبصير التلاميذ بالرذائل التى من شأنها تفكيك المجتمع كالكذب والنفاق والسرقة وبيان أضرارها .
- ما دام الأطفال فى هذه المرحلة يتسمون بالهدوء فيمكن الإكثار من موضوعات التهذيب المختلفة ، كخفض الصوت ، والرأفة بالحيوان والطيور ، وحب النبات والخضرة ، كما يمكن تقديم الأحاديث النبوية التى توجه

(١) أخرجه أبو داود فى سننه ، ٢/٥٩٤ ، كتاب الأدب ، باب التشديد فى الكذب .

الأطفال نحو التعمير والاهتمام بالجمال والنبات والخضرة ، واحترام الملكية العامة .

ج ـ النمو الانفعالى فى مرحلة المراهقة ومتطلباته فى مناهج التربية الدينية الإسلامية :

أما مرحلة المراهقة فيتعرض خلالها المراهقون لحالات من اليأس والقنوط والحزن والآلام النفسية نتيجة لما يلاقونه من إحباط بسبب تقاليد المجتمع التى تحول بينهم وبين تحقيق أمانيهم ، وينشأ عن هذا الإحباط انفعالات متضاربة وعواطف جامحة تدفع بعضهم إلى التفكير فى الانتحار ، أو التمرد على الكبار ، واستخدام القوة البدنية فى حسم الأمور ، أو الغضب الشديد ، وربما الانطواء والكذب .

وقد يتعرض بعض المراهقين لبعض المثيرات التى تخلق عندهم حالة انفعالية مضطربة فالصراع بين الأفكار الدينية والأفكار الإنسانية قد يؤدى بالمراهقين إلى عدم ثقة فى الأفكار الدينية ، وهذا ما أكدته دراسة المليجى (١٩٩٥م) [1] حيث كان من بين نتائجها : أن نسبة الشك لدى المراهقين تصل إلى ٢٤٪ وتصل لدى المراهقات إلى ١٢,٨٪ .

ومن المطالب الانفعالية لهذه المرحلة إحراز الثقة فى الوصول إلى الاستقلال المالى ، وهذا ما أكدته دراسة رشاد عبد السلام (١٩٨٠م) حيث كان من بين نتائجها : أن المشكلات المالية تأتى على قائمة مشكلات المراهق مما يؤكد رغبته فى الاستقلال المالى ليعبر عن دوافعه بالإنفاق أو الزواج . . . إلا أنه يصطدم بالواقع ـ قصوره المادى ـ الذى يقف حائلا بينه وبين ما ينشده من استقلال وتعبير عن دوافعه الفطرية ، وهنا تزداد حدة التوتر الانفعالى ، وقد

---

(١) عبد المنعم المليجى : تطور الشعور الدينى عن الطفل والمراهق ص ٢٥١ ، القاهرة : المعارف ، ١٩٥٥م .

يعالج بعض الآباء ـ القادرين ماديا ـ ذلك بفتح دفاتر التوفير لأبنائهم أو بشراء شهادات استثمار لهم حتى يشعروا بأنهم ليسوا بعاجزين ماليا عن تحقيق بعض رغباتهم[1] .

والإسلام راعى الحالات الانفعالية التى قد يتعرض لها بعض أفراده ، فراح يوجه أفراده إلى التمسك بدينهم وممارسة العبادات التى فرضها عليهم خالقهم ، فهى ذات أثر محمود فى تهذيب نفوسهم وسلامتهم نفسيا وانفعاليا ..، كما شرع الإسلام الحدود والكفارات وحرم الانتحار ليخلص الفرد من عذاب الضمير ، وإنقاذه من الانهيار والوقوع تحت تأثير مشاعر اليأس ، وبذلك يضمن لأفراده الأمن والاطمئنان والسلامة النفسية .

ويمكن لمناهج التربية الدينية الإسلامية مراعاة خصائص النمو الانفعالى كما يلى :

- ترسيخ عقيدة الإيمان بالله تعالى فى نفوس التلاميذ حتى ينمو فى قلوبهم الشعور بالأمن والاطمئنان .
- تدريس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التى تنمى مشاعر الحب والرجاء والأمل والتفاؤل ، فبهذه المشاعر يتخلى الإنسان عن العقد النفسية والوساوس والأمراض النفسية ، ويشعر المتعلم أن الله ـ تعالى ـ معه فى كل لحظة ، وأنه فى معية الله دوما ، وأنه لا حرج عليه إذا أخطأ .
- تدريس الحدود والكفارات وما يتعلق بها من قضايا ، حتى يعلم الطالب جزاء المخطئ ، ويعلم أن فى تشريع الله للحدود ، والكفارات تخليصا للفرد من عذاب الضمير ، وإنقاذه من الانهيار ، ووقوعه تحت تأثير مشاعر اليأس .

---

(١) رشاد سيد عبد السلام : دراسة نفسية لمشكلات المراهق الأزهرى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، تربية الأزهر ، ١٩٨٠م .

- العمل على التخفيف من الصراعات عن طريق توضيح الفرق بين ما شرع الله ـ تعالى ـ وما شرع الإنسان ، فانصراف بعض أفراد المجتمع عما شرع الله لا يعنى ذلك أنهم على صواب .
- تقديم موضوعات ترتبط بقول الحق ، وموضوعات تناقش كيفية التغلب على القلق ومقاومة العنف ، وكيفية التعامل مع الآخرين وخاصة الضعاف من أترابهم فى الفصل وعدم الاعتداء عليهم ، وضرورة احترام الكبار وتقديرهم ، كما يمكن تقديم موضوعات تمجد العمل الجماعى ، وموضوعات تمجد الفروسية والأخلاق الفاضلة .

٥- النمو الاجتماعى :

أ- النمو الاجتماعى فى مرحلة الرياض ومتطلباته فى مناهج التربية الدينية الإسلامية :

يقصد بالنمو الاجتماعى العلاقات التى تنشأ بين الطفل والآخرين ، وترتبط هذه العلاقات فى مرحلة الرياض بالرفاق والجيران ولا تزال علاقاته بوالديه وأسرته حميمة ، وتجدر الإشارة إلى أنه ليست هناك أية مشكلات اجتماعية فى هذه المرحلة ، كما أن اختلاط النوعين من الذكور والإناث ليس له أى تأثير فى هذا السن .

والسؤال الذى يطرح نفسه : ماذا نقدم لأطفال الرياض فى مناهج التربية الدينية الإسلامية ؟ يتضح ذلك من خلال ما يلى :

١- التنبيه إلى أهمية الصداقة وتشجيع الأبناء على حسن اختيار الأصدقاء .

٢- التنبيه إلى أهمية مراعاة الجار والتأكيد على حقوقه فى الإسلام .

٣- حث الأطفال على مساعدة الآخرين والتعاون معهم وتحفيزهم على المشاركة فى الأعمال الاجتماعية الخيرية .

٤- بث العادات الحميدة فى نفوسهم كالإفساح فى المجالس وتوقير الكبار .

ب ـ النمو الاجتماعى فى مرحلة الطفولة ومتطلباته فى مناهج التربية الدينية الإسلامية :

يزداد النمو الاجتماعى للطفل فى مرحلة الطفولة بدخوله المدرسة الابتدائية؛ نظرا لاحتكاكه بالمجتمع الجديد (مجتمع المدرسة) ، فتكثر الصداقات عن ذى قبل ، ويعتبر التلميذ الأصدقاء حلفاء له بعد أن كان يعتبرهم منافسين له فى المرحلة السابقة ، وهكذا يتحول طفل هذه المرحلة من طفل أنانى متمركز حول ذاته إلى طفل متعاون يتوافق مع جماعة تحكمها عدة معايير تحدد اختيار الأفراد المنتمين إليها ، ومن هذه المعايير سمات المرح ، والألفة ، والأمانة ، والكرم .

وتزداد عملية التنشئة الاجتماعية فى هذه المرحلة ، فيعرف الطفل المزيد عن المعايير والاتجاهات الديمقراطية والضمير ومعنى الخطأ والصواب ، ويهتم بالتقييم الأخلاقى للسلوك ، فالذكر يتابع بشغف ما يجرى فى وسط الشباب والرجال ، والأنثى تتابع فى لهفة ما يدور فى وسط الفتيات والنساء .

والنمو الاجتماعى يشمل تكوين صفة القيادة والقدرة على توجيه الغير ممن هم دونه فى سلم الكفاية ، وضمان تعاونهم الصادق ، وكذلك صفة الانقياد للغير ممن هم أعلى منه فى سلم الكفاية والتعاون معهم لتحقيق غرض مشترك ، كما يتسم ببعض السمات منها [1] :

- نمو مفاهيم الضمير والصدق والأمانة .
- اتساع دائرة الميول والاهتمامات .
- نمو الوعى الاجتماعى والمهارات الاجتماعية .
- اضطراب السلوك إذا حدث صراع أو معاملة خطأ من جانب الكبار .

---

(١) حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو والطفولة والمراهقة ، ص ص ٣٤٠-٣٥٠.

- تعديل السلوك بحسب المعايير والاتجاهات الاجتماعية وقيم الكبار .

- بزوغ معان وعلامات جديدة للمواقف الاجتماعية .

والإسلام راعى هذا الجانب ، فهو يوجه أفراده إلى حسن اختيار الأصدقاء ؛ حتى يكتسب الفرد من جليسه الأخلاق الفاضلة والعادات النبيلة ، قال ﷺ «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» ، كما حذر الإسلام من مصادقة أصحاب الأخلاق السيئة، حتى لا يكونوا سببًا فى انحراف من يرافقهم، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ (الفرقان:٢٧-٢٨) ، ويقول ﷺ «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك أو تشترى منه أو تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحا خبيثة»[(١)].

وفى مجال التنشئة الاجتماعية حرص الإسلام على تنشئة الأبناء على أساس من العقيدة الصحيحة ، والعبادة السليمة وتقوى الله عز وجل منذ نعومة أظافرهم ، فمن العبادات التى وجهنا الإسلام لنعلمها لأولادنا فى الصغر ، الصلاة ، وذلك لأنها تشعر المسلمين بالمساواة ، كما تعمل على إيجاد الشعور الجماعى بينهم، قال ﷺ «مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع»[(٢)] ، ومن الآداب الاجتماعية أدب الاستئذان ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٣٢٣/٤ كتاب البيوع ، باب العطار وبيع المسك عن أبى موسى ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ٢٠٢٦/٤ كتاب البر ، باب استحباب مجالسة الصالحين ، مجانبة قرناء السوء عن أبى موسى رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الإمام الحاكم فى المستدرك ٢٥٨/١ كتاب الصلاة باب علموا الصبى ابن سبع، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى .

﴿يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾ (النور:٥٨) .

من هنا يمكن لمناهج التربية الدينية الإسلامية بالمرحلة الابتدائية تلبية مطالب النمو الاجتماعى من خلال ما يأتي :

- تزويد التلاميذ بمعايير اختيار الأصدقاء ، وكيفية التعامل مع الغير .
- تزويد التلاميذ بالآداب الاجتماعية التى تستحثهم على تقديم أعمال البر والإحسان مثل الإنفاق . . . ، والآداب الاجتماعية التى من شأنها المحافظة على عورات البيوت كالاستئذان .
- ربط التلاميذ بخالقهم عن طريق حثهم على ممارسة العبادات المفروضة التى من شأنها إيقاظ ضمائرهم وشعورهم بالمساواة وإيجاد الشعور الجماعى بينهم .
- تبصير التلاميذ بالرذائل التى من شأنها تفكيك المجتمع المسلم ، ومن هذه الرذائل : النفاق ، الغيبة والنميمة ، الرشوة ، السرقة ، الكذب .

أ- النمو الاجتماعى فى مرحلة المراهقة ومتطلباته فى مناهج التربية الدينية الإسلامية :

يتأثر النمو الاجتماعى فى هذه المرحلة بالتغيرات التى يتعرض لها الفرد فى جوانب النمو الأخرى ، ويظهر هذا التأثير واضحا فى سلوك الفرد الاجتماعى حيث يتميز سلوكه بما يلى[1] :

● الرغبة فى تأكيد الذات :

يتسم الفرد فى هذه المرحلة بازدياد حساسيته نحو نفسه ، وتأتى هذه الحساسية من حاجته الشديدة إلى المكانة الاجتماعية والتقدير من الآخرين ،

(١) حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو ، ص ص ٣٥٠-٣٥٨ ، بتصرف .

فنراه يميل إلى القيام بأعمال تلفت النظر ، يرى أن فى القيام بها إثباتًا لذاته ، ومن هذه الأعمال : التدخين ، وتناول الحبوب المخدرة ، وتجميل الجسد . . .

● الرغبة فى تحمل المسئولية الشخصية والاجتماعية :

يميل المراهق إلى القيام بأعمال الخير التى تخدم الفرد والمجتمع كمساعدة الضعفاء والمحتاجين من المرضى وغيرهم،والرغبة فى تقديم كل ما يحتاجون إليه .

● الرغبة فى التعبير عن دوافعه بالزواج :

يشعر المراهق فى هذه المرحلة باكتماله جنسيًا ، ومن ثَمَّ فهو يرغب فى التعبير عن دوافعه بالزواج وتكوين أسرة .

أما عن العلاقات الاجتماعية فإنها تتسع فى هذه المرحلة لتشمل أصدقاءه بالنادى وأصدقاءه بالبلاد المجاورة ، وأصدقاء بالمراسلة ، . . وجماعات الأصدقاء هذه لها تأثير خطير على المراهق ، لأن الوالدين لم يصبحا مركز السلطة للأبناء كما كانًا من قبل ، وفى هذه المرحلة يتمايز الوضع الاجتماعى للمراهقين ، فيتضح الفقير من الغنى فى الملبس والمركب ونوع السكن ، وفى هذه المرحلة تتضح ثورة المراهق وتمرده على الكبار . . . وتظهر هذه الثورة عند البعض فى الشغب والتطاول على المدرسين والمدرسات .

والإسلام راعى هذا الجانب من النمو بأن قدم الضوابط الاجتماعية التى تكفل الأمن والسلام للناس ، وعمل بروحانيته على التأثير فى نفوس البشر فيهذبهم ويوجههم وجهة الخير ، ويسمو بوجدانهم ، ويرتقى بميولهم ، ويعدل طبائعهم ، فيجعلها متفقة ومنهج الخير العام الذى يحقق مصلحة الناس وسعادتهم [1] .

---

(١) عبد الرشيد عبد العزيز سالم : طرق تدريس التربية الإسلامية ص ٤٨ ، ط٣ ، (الكويت ، وكالة المطبوعات ١٩٨٢م) .

وعن عملية التنشئة الاجتماعية قدم لنا الإسلام مجموعة من القيم والتوجيهات الاجتماعية التى جاءت فى ثنايا كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد ﷺ ، والتى حث الإسلام الأبوين وغيرهم على التحلى بها ليكونوا قدوة لأولادهم ، ومن هذه القيم الظهور بمظهر الإيمان والتقوى والأخوة والمحبة والإيثار والحلم والإقدام والجرأة فى الحق والانتماء للجماعة ، واختيار الأصدقاء .

● دور مناهج التربية الدينية الإسلامية إزاء مطالب النمو الاجتماعى فى مرحلة المراهقة :

يمكن لمناهج التربية الدينية الإسلامية فى مرحلة المراهقة تلبية مطالب النمو الاجتماعى على النحو التالي :

١- تزويد التلاميذ بالتوجيهات الدينية فى مجال الآداب الاجتماعية التى من شأنها تقويم سلوكهم ومن هذه الآداب : آداب الحديث ، آداب الاستئذان ، آداب عيادة المريض ، وآداب اختيار الأصدقاء . . وبر الوالدين .

٢- تقديم الموضوعات التى تعنى بحسن اختيار الأصدقاء ، وتبرز قيمة الصداقة فى تكوين عادات اجتماعية طيبة ، والتنبيه إلى أهمية جماعات البر والخير وكذلك إبراز خطورة المخدرات والمسكرات ولعب الورق (القمار) .

٣- تقديم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تبين احترام الآخرين ، وتؤكد على أن الناس سواسية كأسنان المشط .

٤- تشجيع التلاميذ على احترام العلم والعلماء .